الأخـــــلاق فـــي القـــرآن الكريـــم

د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري[1]

مستخلص البحث

يتعلق هذا البحث بدراسة موضوع الأخلاق في القرآن الكريم، متناولاً فيه مفهوم الأخلاق وعلاقتها بالغريزة، وبيان أسلوب القرآن في عرض الأخلاق، وقد هدفت من خلاله إلى بيان أسلوب القرآن في عرض الأخلاق، وتجلية مفهوم الأخلاق وبيان صلته بالغريزة، وبيان أسلوب القرآن وطريقته في عرض الأخلاق، وقد سلكت فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، ومن أهم ما توصلت إليه من نتائج أن القرآن يعد المنبع الأول الذي تستقى منه الأخلاق، ويوصي البحث بضرورة الاهتمام بدراسة الأخلاق من خلال القرآن الكريم وتنزيلها على الواقع.

مقدمـــــــة

الحمد لله نزل على عبده الكتاب ،هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة،منتهى الحكمة وفصل الخطاب.

نحمدك اللهم أسبغت علينا نعمك ظاهرةً وباطنة،فهديتنا للإسلام ومننت علينا بنبي الرحمة وسيد الأنام .. من كان خلقه القرآن، وفي قوله غاية البيان نبينا محمد، عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ، أفضل الصلاة وأزكى السلام . وبعد..

إن الحق تبارك وتعالى أمرنا بالابتعاد عن كل دنس أخلاقي، وحسد معنوي فأراد لنا الطهارة الحسية والمعنوية التي يجب أن يتزين بها المسلم حتى

١- أستاذ مساعد – قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة المالك خالد – أبها.

يكون وضاءً بين الخلق ، هاديًا بسلوكه إلى طريق الحق تبارك وتعالى الذي رسمه لنا نبي الرحمة –صلى الله عليه وسلم– الذي أعلى من قدره ربه فقال – واصفًا إياه – ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وكذا وصفت السيدة عائشة – رضي الله عنها– رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه يَزِيدَ بْنِ بَابَنُوسَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْنَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! مَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . . . "[1].

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى

١– تجلية مفهوم الأخلاق

٢– بيان أسلوب القرآن في عرض الأخلاق

٣– بيان الفرق بين الأخلاق والغريزة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الآتي:

– ما المقصود بالأخلاق

– ما علاقة الأخلاق بالغريزة.

– ما أسلوب القرآن في عرض الأخلاق.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

هيكل البحث:

المبحث الأول: تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة

(١) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م بَابُ مَنْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يحسن خلقه – ١٤٤ ـــ ٣٠٨/٢٣٤ قال الشيخ الألباني حديث (صحيح لغيره) (ص: ١٢٩) .

المطلب الثاني : تعريف الأخلاق في الاصطلاح

المطلب الثالث: بيان الفرق بين الأخلاق والغريزة

المبحث الثاني: أسلوب القرآن في عرض الأخلاق

المطلب الأول: الأسلوب المباشر

المطلب الثاني: الأسلوب غير المباشر

المبحث الثالث: الأخلاق في القرآن

المطلب الأول: طهارة النفس

المطلب الثاني: العفة، الاحتشام، غض البصر

المطلب الثالث: التحكم في الأهواء

المبحث الأول

تعريف الأخلاق في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول

تعريف الأخلاق في اللغة

الخَلْق أو الخُلُق:الدين والسجية والطبع ،وكلمتا الخلْق والخُلق تُستعملان معًا ، فيقال فلان حسن الخَلْق والخُلُق ، أي حسن الظاهر والباطن ، فالخلق : الصورة الظاهرة ، والخُلق :الصورة الباطنة ، وأصل كلمة خلق (خ ل ق) في اللغة يعود إلى أصلين:التقدير المستقيم وملامسة الشيء.فكأن السجية قدُقدّرت على صاحبها،ولها صفة الملامسة والليونة واليسر وذلك أن نفس صاحبها قد اعتادت عليها فتخرج بكل سهولة ويسر ، سواء الأخلاق الحسنة أم القبيحة[1].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، ٢ / ٧٠، .تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين٢٥ /٢٥٨ ،ولسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٠ /٨٧ .

المطلب الثاني

تعريف الأخلاق في الاصطلاح

ورد في الأخلاق تعريفات كثيرة منها :صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك المحمود أو المذموم "[١].

وأنها " هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروي وبذل الجميل وكف القبيح "[٢].

كما تعرف بـــ "التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل "[٣].

كما يقصد بها "الأحكام القيمية التي تنصب على الأفعال الإنسانية من ناحية أنها خير أو شر"[٤].

وبعد أن عرّفت الأخلاق أفرّق بين الخُلق والغريزة ، فالغريزة من الفعل (غرَزَ) ويعني الإدخال ، نقول : غرز الإبرة في شيء أي أدخلها فيه، والغريزة هي الأصل والطبيعة والسجيةمن خير أو شر كالجرأة والجبن "[٥] .الغرائز هي التي جُبل الإنسان عليها، كحب الأكل والجماع مثلاً، إلا أن الدافع الفطري يكون عامًا غير متوجه إلى معين، بخلاف العاطفة، فإنها تكون متوجهة إلى معين، فمثلًا: حب الأكل دافع فطري، ولكن حب التفاح يكون عاطفة، والميل إلى النساء دافع ، ولكن توجهه إلى الزوجة المعينة يكون عاطفة[٦]. فالغرائز قدُ

(١) الوجيز في الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني بيروت : دار. الريان . الطبعة الثانية سنة ١٤٢٥ ه ٢٠٠٤ م . ص ١١.

(٢) إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار النشر : دار المعرفة– بيروت ، ٢ /١٦١.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي٢ / ٣٠٧ .

(٤) كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني الحسيني الحنفي: تحقيق : د . محمد عبد الرحمن المرعشلي . بيروت : دار النفائس . الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ ه ٢٠٠٣ م . ص ٢٣٣.

(٥) لسان العرب– ابن منظور ٣ / ٦٠٣ .

(٦) أثر الإ يمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ١ / ٣٠٣ ، وراجع علم الأخلاق الإسلامية ، مقداد يالجن محمد علي ، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياضالطبعة: الأولى ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م ، ص ٣٥٧ .

غُرزت في نفس صاحبها وجُبلت عليها كغريزة الميل للجنس الآخر ، وحب المال وغيرها .

فالغرائز لا يمكن للإنسان أن يتخّلص منها سواء أكانت في الخير أم في الشر ، فهومجبول عليها ، وهي سابقة على الأخلاق ، أما الأخلاق فيمكن للإنسان أن يغيرها من الحسن إلى القبيح أو العكس ، والأخلاق تنغرز في النفس بعد ممارسة الإنسان لها في السلوك اليومي سواءفي الخير أم في الشر ، كما أن الأخلاق يمكنها أن تهّذب الغرائز ، فالإنسان مثلًا بفطرته مجبول على حب المال والميل للجنس الآخر ، فإما أن تأتي الأخلاق الحسنة لتهذب هذه الغريزة فُتصدرلها بعض الأحكام مثل : النهي عن السرقة والظلم والربا والزنا، فيظهر الإنسان في أحسن سلوك فيكون محبوبًا محمودًا عند الناس وعند الله تعالى . وإما أن تكون النتيجة على خلاف ذلك تمامًا إن لم تهّذب الغريزة وتضبط بالشرع الحكيم[1] .

المبحث الثاني

أسلوب القرآن في عرض الأخلاق

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ، على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، فهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك -أيها الرسول- لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية إلى دين الإسلام الذي هو طريق

(١) الإنسان والغريزة والأخلاق ، محمود الباتع ، الحوار المتمدن-العدد: ١٩٦٢ - ٣٠ / ٦ / ٢٠٠٧،مقال بموقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp المحور: الفلسفة ،علم النفس ، وعلم الاجتماع.

الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، المحمود في كل شيء[1].

وجاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة لكل الرسالات ، فيها أخبار السابقين الأولين ؛ لتذكر الناس بالخير وتحّذرهم من الشر . كان ذلك بأسلوب القرآن المعجز ، الذي دعانا إلى التزام الأخلاق الحسنة واجتناب السيئ منها ، وقد عمد القرآن الكريم إلى ذلك بأسلوبين هما :

الأسلوب المباشر ، والأسلوب غير المباشر .

المطلب الأول

الأسلوب المباشر

القارئ للقرآن والمتدبر لآياته يجد أن القرآن الكريم قد دعا إلى التزام الأخلاق الحسنة ولكنه لم يكثر من ذلك ، إلا أنه أكثر من التحذير من الأخلاق السيئة ؛وذلك لما لها من أثرمباشر وغير مباشر على النفس وعلى الآخرين، سواء أكان الآخرون رؤساء أم أتباعا .قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، فالشر ثابت في آثار الربا، واضح للعيان في المجتمع العربي في ذلك الوقت كما هو اليوم ،فالناس يكتوون بناره ، والمرابون يأكلون أموال الناس بالباطل،ولما كان الذنب بهذاالانتشار وذاك الخطر ، كان تحذير القرآن الكريم منه في الآيتين طلبُ الترك للربا لأن ترْكه من مقتضيات الإيمان: وهذا من الآية: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ففيها إفضاء إلى التشريع الصريح المقصود[2]، وقد أشار الإمام الطبري إلى هذا المعنى حيث قال " اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم تصنيف: جماعة من علماء التفسيرإشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية ،الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦ هـ (١/ ٢٥٥).

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع ،٣ /٩٣.

على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها "[1].

ثم أخذ أسلوب التهديد الشديد على عدم ترك الربا : وهذا من الآية : ﴿فإن لَّمْ تفْعَلوا فأْذَنوا بحَرْب منَ اللّه ورَسُوله وإن تُبتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالكُمْ لا تَظْلمُونَ ولا تُظْلَمُونَ﴾ ، حيث كان التحذير من الحرب زيادة في التحذير من الربا وشره ، وزيادة في النهي عنه وإيغالا ،فيوجوب تركه حيث " لم يبلغ من تعظيم أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تعظيم الربا ، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا "[2] وفي الحديث" عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت لَمَّا نَزَلَتْ آخِرُ الْبَقَرَة قَرَأَهُنَّ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في الْمَسْجِد ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ في الْخَمْرِ "[3].

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالْبَاطل إلَّا أَنْ تَكُونَ تجَارَةً عَنْ تَرَاض منْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنَّ اللَّهَ كَانَ بكُمْ رَحيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بما حرم عليه من الربا والقمار وغير ذلك من الأمور التي نهاكم الله عنها إلا أن تكون تجارة[4].

وقد حذر من الأخلاق القبيحة، وحثنا كثيرًا على تركها واجتنابها، فقال تعالى في قول الزور: ﴿ذَلكَ وَمَنْ يُعَظّمْ حُرُمَاتِ اللَّه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عنْدَ رَبّه وَأُحلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنبُوا الرّجْسَ منَ الْأَوْثَان وَاجْتَنبُوا قَوْلَ الزُّور﴾ [الحج: ٣٠]. فتعظيم الحرمات بتعظيم أمره وتعظيم أمره بترك مخالفته، ويقال من طلب

(١) جامع البيان عن تأويل آيالقرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ ، ٣ / ١٠٦.

(٢) الأساس في التفسير ، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)الناشر: دار السلام – القاهرة ، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ ١ / ٦٣٣.

(٣) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، كتَاب الْبُيُوع وَقَوْلُ الله عز وجل(وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) وَقَوْلُهُ (إلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ)، بَاب آكل الرِّبَا وَشَاهده وَكَاتبه وَقَوْله تَعَالَى (الَّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كما يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ من الْمَسّ ذلك بأَنَّهُمْ قالوا إنَما الْبَيْعُ مثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعظَةٌ من رَبّه فَانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إلى الله وَمَنْ عَادَ فَأُولَئكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فيها خَالدُونَ) ٢ /٧٣٤ .

(٤) جامع البيان: الطبري– ٣٠/٥.

الرضا بغير رضى الله لم يبارك له فيما آثره من هواه على رضى مولاه، ولا محالة سيلقى سريعًا عاقبته[1].

وقال تعالى في الخمر والميسر والأنصاب والأزلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولقد أكّد سبحانه وتعالى تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صُدِّرت الجملة بإنماء وقُرِنا بالأصنام والأزلام وسُمِّيا رجسًا من عمل الشيطان تنبيهًا على أن تعاطيهما شرٌّ بَحْتٌ وأمَر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببًا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خَيبة ومَحْقة ثم قرر ذلك بيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم[2].

وفي الظن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. أي: أبعدوه عنكم، واجعلوه جانبًا منكم. لكي لا تستحقوا عليه العقاب، وذلك البعض كثير؛ لأنه ظن السوء بالمؤمنين، والتبعيض يؤذن باجتناب بعض الظن، ولا يقدم عليه إلا بعد النظر في حال الشخص، فإن كان موسومًا بالصلاح، فلا يظن به السوء بأدنى توهم، بل يحتاط في ذلك، ولا تظنن سوءًا إلا بعد ألا تجد إلى الخير سبيلًا، وأما ظن الصلاح بالصلحاء والعلماء بالله والشرع، فمندوب إليه، وأما الفساق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم[3].

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة (٢/ ٥٤١).

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(٣/ ٧٥).

(٣) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلامِيّة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م (٦/ ٣٧١).

ثم أجمل الله تعالى ذكر مساوئ الأخلاق مشيرًا إلى أن تركها يؤدي إلى مغفرة الذنوب والتجاوز عن الزلات ، فقال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، و المعنى: إن تبتعدوا - أيها المسلمون - عن الذنوب الكبائر التي نهى الله عنها، وتوعدكم على فعلها، فأطعتم الله ورسوله - كان ثمرة ذلك، أن نكفر عنكم سيئاتكم، ونستر عليكم معاصيَكم التي لم تبلغ حدَّ الكبيرة - بسبب هذه الطاعة، وندخلَكُم دار النعيم حيث تقيمون فيها مكرمين، وتحْيَون فيها حياة لا يشوبها كدر ولا عناءٌ.

وهذا مظهر آخر من مظاهر الرحمة الإلهية الشاملة، يتمثل في هذا الوعد الكريم من الله لعباده المتقين .. وفي إسباغ فضله عليهم بالثواب الجزيل، الذي يزيد أضعافًا على ما يستحقون[١].

ونسوق فيما يأتي مثالاً على الأمر بالأخلاق الحسنة بصورة مباشرة : قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، جاءت هذه الآية بعد أن ذُكرت قصة الثلاثة[٢] الذين تخلفوا في غزوة تبوك ، وفي هذه الآية أمر مباشر للمؤمنين أن يكونوا مع الصادقين أمرًا صريحًا واضحًا.

يقول الزمخشري : "عن ابن مسعود رضي الله عنهما : لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه ، اقرءوا إن شئتم وكونوا مع (الصادقين ، فهل فيها من رخصة "[٣].

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،مجموعة من العلماء ، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) (٢/ ٨٠٠).

(٢) والثلاثة هم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم . انظر أسباب نزول القرآن ،أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ،المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان: ٢٩٧ .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي٢ /٣٠٦ .

قال ابن كثير في معنى هذه الآية : "أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا"[1]. إلا أن ابن عاشور قد صرحأن الأمر بالصدق بهذه الصيغة "كونوا مع الصادقين" أبلغ في التخلق بالصدق من نحو : اصدقوا "[2].

وقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز المؤمنين بالأخلاق الحسنة ، في كثير من المواضع منها :

في بر الوالدين قوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، أي أن تتواضع لهما وتتذلل، وتطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن معصية لله، رحمة منك بهما وشفقة عليهما، إذ هما قد احتاجا إلى من كان أفقر الخلق إليهما، وذلك منتهى ما يكون من الضراعة والمسكنة،وقوله: من الرحمة، أي أن يكون ذلك التذلل رحمة بهما، لا من أجل امتثال الأمر وخوف العار فقط ، فتذكّر نفسك بما تقدّم لهما من الإحسان إليك، وبما أمرت به من الشفقة والحدب عليهما.وقد مثل حاله معهما بحال الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته، فإنه يخفض له جناحه، فكأنه قال للولد: اكفل والديك، بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك حال صغرك[3].

وقد جمع الله تعالى وجوه الخير كلها في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، يقول الله تعالى يأيها الذين صدقوا الله ورسوله اركعوا لله في صلاتكم واسجدوا له فيها واعبدوا ربكم وذلوا لربكم واخضعوا له بالطاعة وافعلوا الخير الذي أمركم ربكم بفعله ﴿لعلكم تفلحون﴾ يقول لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلباتكم عند

(١) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ٢/٤٠٠.

(٢) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م ،١١ / ٥٤.

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م (١٥/ ٣٥).

ربكم[1].

ثم قال: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي وحدوه ﴿وأطيعوه، وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أي: أكثروا من الطاعات والخيرات ما استطعتم، وبادروا إليها. ويقال: التسبيحات. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، يعني:تنجون من عذاب الله تعالى[2]. ففي هذا لفظ صريح ومباشر بالتزام الأخلاق وفعل الحسنات بصورة واضحة لا لبس فيها .

المطلب الثاني

الأسلوب غير المباشر

عرض القرآن الكريم كمارأينا للأخلاق والدعوة إليها بالأسلوب المباشر، وطرح التخلي عن الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن منها بالأسلوب غير المباشر، فنجد أن القرآن الكريم بعد ذكره قصة من قصص السابقين يعّقب عليها بطريقة تدعو القارئ إلى الاعتبار والاتعاظ والتركيز على الأخلاق، بأسلوب حسن رائع ، يهذب فيه النفس البشرية.

فمثلاً: بعد أن ذكَرَ الله تعالى قصة لوط عليه السلام، وما حل بقومه من العذاب، نجد قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ • فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٥].

فبعد أن أخذتهم الصيحة في وقت الصباح، وجعْل عالي أرضهم سافلها وبعد أن أُمطروا بالحجارة المسجّلة[3]، يذكر الله تعالى بعد ذلك كله:" إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم،وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله ، وعبرة على عواقب أمور أهل

(١) جامع البيان ١٧ / ٢٠٤.

(٢) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمودمطرجي(٢/ ٤٧١).

(٣) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التميمي الحنبلي ، ٥ /٢٧٤، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. ٥ / ٢٦٨.

معاصيه والكفر به .وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول : قل لقومك يا محمد في قوم لوط ، وما حل بهم من عذاب الله حين كّذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم ، معتبر "[1].

هذا المثال في الاعتبار بما حل بمن سبق ، في الخير أو الشر ، أما فيما يخص التحذير،من الشر فقد قال تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٣-٣٤]. بعد أن بينت الآيات السابقة عاقبة الكبراء والأتباع ، يتبرأ كل منهم من الآخر ، ولكن عذاب الله تعالى لهم ثابت ، فكما أنهم اشتركوا في الشرك وعمله فهم اليوم مشتركون في العذاب ، ويعني هذا أن المتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب كما كانوا في الدنيا مشتركين في الغواية[2].

وكذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ • وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، أي تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشي الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه وخاف أن يشابه قوم لوط ومن تشبه بقوم فهو منهم وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم ببعيد فالعاقل اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمتثل ما أمره الله به عز وجل ويقبل ما أرشده إليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال والجواري من السراري ذوات الجمال وإياه أن يتبع كل شيطان مريد فيحق عليه الوعيد[3].

(١) جامع البيان١٤ / ٤٥.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ،٢٦ / ١١٨.

(٣) البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، دار النشر : مكتبة المعارف – بيروت ، ١ / ١٨٣ وراجع نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ٦/ ٣٤٠.

ومثله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، أي : وكم . (منآية) دالة لهم على توحيد الله (وهم عنها معرضون). فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال،لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفاجئهم العقاب وهم آمنون[١].

فمن سار فكانت له بصيرة اعتبر وعقل ، ومن مرّ على الآيات فنظر إليها منها تذكر وأقبل ، ومن أمر اللّه عزّ وجلّ بالمشي في مناكب بساطه والأكل من رزقه بعد إظهار نعمته بتذليل مهاده فقال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، قيل : في أسواقها ، وقيل: قراها ، وقيل : جبالها ، وكان بشر الحافي يقول : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا كثر مقامه في موضع تغيّر ، وقيل : إنما سمي سفرًا لأنه يسفر عن أخلاق النفس ، وأيضًا يسفر عن آيات اللّه سبحانه وقدره وحكمه في أرضه، فإذا عزم على السفر فليصلّ ركعتي الاستخارة وليعقد التوكّل على اللّه عزّ وجلّ ، فكفى ناظرًا وساكنًا إليه تبارك وتعالى واثقًا به ومعتمدًا عليه مستورًا حاله راضيًا عنه عزّ وجلّ في تقلّبه ومثواه ، الاعتبار بالآثار والنظر إلى الآيات بالاستبصار والابتغاء من فضل اللّه سبحانه فيما ندبه إليه من الأسباب ، ويقال : إنّ اللّه تبارك وتعالى وكّل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته ، فمن كانت نيته طلب الدنيا أعطي منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله[٢] فهو الاعتبار ممن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين ، ص ٤٠٦.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب

ارتكب خُلُقًا سيئًا ، فلا تكونن منهم ولا تفعلن فعلتهم حتى لا تذوق عذابهم وتتحسر بحسرتهم يوم القيامة ،وهذا الأسلوب غير المباشر في الحث على الأخلاق الحسنة والتحذير من الأخلاق السيئة من خلال النسق القرآني .

المبحث الثالث

الأخلاق في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية، والإسلام يربط بين القول والعمل، والقيمة والسلوك. والأخلاق في الإسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة، سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية. وغاية الأخلاق في الإسلام بناء مفهوم ((التقوى)) الذي يجعل أداء العمل الطيب واجبًا محتمًا ويجعل تجنب العمل الضار واجبًا محتمًا، ويجعل الخوف من الله أقوى.

فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير.

ولذلك فإن أبرز قواعد الإسلام هو (ثبات القيم) ، وبالتالي (ثبات الأخلاق) وإن الالتزام الخلقي هو قانون أساسي يمثل المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية فإذا زالت فكرة الالتزام قضي على جوهر الهدف الأخلاقي، ذلك أنه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه.

المكي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د.عاصم إبراهيم الكيالي ، ٢ / ٣٤٣ .

والإسلام يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين. وهذا ما يرى واضحًا في السنة النبوية المطهرة ما رواه أبو هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهَّ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللَّهَّ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[1].

وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب[2] نعم إنك لترى العمل،فتراه في ذاته عملًا مبرورًا. فإذا اطلعت على مقاصده وبواعثه، وجدته قد انقلب إثمًا وفجورًا، أو قد تحول شغلًا دنيويًا مباحًا لا بر فيه ولا فجور.

من أجل ذلك كان حقًا على المؤمن ـ قبل الإقدام على عمل ما ـ أن يلقي على نفسه هذا السؤال، وأن يلح على نفسه في طلب الرد عليه: ماذا تبتغين أيتها النفس من هذا العمل؟ فإذا ظفر منها بإجابة صحيحة صريحة ، غير مخدوعة ولا مخادعة ، فليعرض هذه الإجابة على مرآة القرآن وليخبرها بالمعايير التي وضعها القرآن ،ليستبين بذلك قيمة عمله،بل ليستبين درجة إيمانه ، بل لينكشف له جوهر نفسه ومعدن روحه ، فيعلم : هل علوية ربانية هي ، أم شيطانية ماردة ، أم طينية باردة ؟. ولعله ليست هناك قضية عني القرآن بتحليل بواعثها وتحديد قيمتها، على ضوء تلك البواعث، أشد من عنايته بقضية البذل والإنفاق وترتيب منازلها؛ برها وفاجرها وما بين ذلك[3].

(١) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ، ج ٤ ص ١٩٨٧.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البغدادي ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ – ١٩٩٨ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أ يمن البحيري، ١ /٢٢.

(٣) من خلق القرآن ، للدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز رحمه الله تعالى ، ، تحقيق خادم العلم عبدالله ابراهيم الأنصارى ، من مطبوعات إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م . ، ص ١٠٥ : ١٠٩.

وهذا المسلك لابد أن يسير عليه المؤمن ولا يتخذ سبيل الماكرين المخادعين كما صنع اليهود إذ دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامهم، وقد دسوا له السم في اللحم: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وهذا رجل آخر؛ يمنحك من فضله ونواله، لا ليكرمك ولكن ليستعبدك ويستخدمك! يحاول أن يشتري ضميرك وذمتك، أو لسانك أوقلمك، أو يدك يضربك، فإنه يريد أن يضرب بك. لا ليضرب بك عند الباطل، وينصر بك ظلمة الحق. ولكن ليحارب بك الله ورسوله، ويصد بك عن سبيله. فتلك هي النفوس الشيطانية، التي وصف الله لنا أمثالها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وطائفة من الناس تراها تنفق عن سعة ، وتبذل عن سخاءٍ ولا تبتغى بأموالها شرًا ، ولا تضمر لأحد غدرًا، ولكنها تخضع لشهوة خفيةٍ من حب الظهور ، وطلب السمعة المحببة عند الآخرين . فذلك هو الرياء الذي وصفه الله لنا[1].

أما النية المثالية في الصدقات ؛ فهي النية النقية المصفاة من كل عوض، المنزهة عن كل غرض ، وإنما يقصد بها وجه الله تعالى خالصًا ، وتلك هي النفوس العلوية الربانية ، التي وصفها القرآن الكريم في غيرِ ماآية : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. قيل سبب نزول هذه الآية: أن ناسًا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر

(١) الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي ، الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ، ٣ /٨٣٦ .

المسلمون نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة إلى الدخول في الإسلام لحرصه صلّى الله عليه وسلّم على إسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذ نتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى أنه إنما بعث بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك وَلكنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ يعني أن الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام[1] ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. نزلت في تناجي أهل طعمة بن أبيرق ليلا بالفساد وتعاونهم على الشر وإلصاق تهمة السرقةباليهودي. وروي أن طعمة لما حكم عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم بالقطع، هرب إلى مكة، وارتد عن الإسلام، ومات مشركًا، وهذا أمر الذين يختانون أنفسهم، ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهم طعمة بن أبيرق ومساعدوه الذين تآمروا في السر لإيقاع البريء بالسرقة، فبيّن الله تعالى هنا أن كل حديث سري أو تدبير خفي أو مناجاة لا خير فيه إلا ما كان بقصد التعاون أو الأمر بالمعروف أو الإصلاح، ثم ذكر الله تعالى أن مخالفة أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم واتباع غير سبيل جماعة المؤمنين جرم عظيم يستوجب دخول نار جهنم[2].

وصدق الله العظيم حيث يرشد إلى بيان الأخلاق السوية القويمة حتى ولو مع المخالفين في العقيدة. ولذا يدعو أتباعه إلى أمورٍ عظيمة القدر يمكن إيجازها فيما يلي:

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (١ / ٢٠٦) . ، اسباب النزول للواحدي:١٢١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ ، ٥ / ٢٦٧.

المطلب الأول

طهارة النفس

وطهارة النفس تتجلى في سلامة السريرة التي تصفي العلاقة بينك وبين الله وبينك وبين المخلوقين وهي التي تنقي القلب من الأدران التي تؤدي به إلى الهلكة من أمراض القلب المعنوية من حقد وحسد وفسق وفجور إلى غير ذلك من الأمور التي لا يرضاها الله عز وجل ولكنه يرضى البر والتقوى و الطهارة والنقاء .

والقرآن الكريم دائم التوجيه إلى ذلك فيقول الحق مبينًا ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، ويقسمُ ربُّنا بنفس الإنسان التي خلَقَها، وبمَنْ خلقَها سويَّةً، معتدلَةً غير متفاوتَة، أو بتَسْويَتها. وقولُه تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾؛ أي: خلقَ النفسَ مستويةً، فألقى فيها علْمًا من غير تعليم، ألقى فيها ما ينبغي لها أن تأتي من خير وتَدَعَ من شرٍّ وأما قولُه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي قد نالَ الظَفَرَ والفوزَ من طَهَّرَ نفسَهُ من المعاصي، وأصلَحَها بالأعمالِ الصالحة، وقد خَسرَ وفاتَه الفوزُ من دسَّ نفسَهُ فأخفاها وأهلَكها بفعلِ المعاصي، وترك الطاعات(١).

ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ • إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والأمرً الجامع لذلك : إنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠هـ (ص: ١٥٧ ، ١٥٨).

عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده فالقلب السليم : هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى : إرادة ومحبة وتوكلًا وإنابًة وإخباتًا وخشيًة ورجاء وخلص عمله لله[1].

فكان جزاء من أتى الله بقلب سليم الجنة وهذا ما دلنا عليه القرآن الكريم في موطن آخر في قوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ • هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ • مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١-٣٣].

وَاذكر- أيضًا- يا رسول الله أمر المطيعين يوم أُزْلِفَتِ وقربت الْجَنَّةُ الموعودة لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ بل بحيث يرون منازلهم فيها من غاية قربها قبل دخولهم ويتمنون الوصول فيقال لهم حينئذ هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ رجاع نحو الحق في عموم ملماته تواب إلى الله من عموم زلاته ومطلق فرطاته في نشأة الاختبار حَفِيظٍ لتوبته على وجه الندم والإخلاص بلا توهم عود ورجوع إليها أصلا وبالجملة ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ واجتنب عن عموم محارمه ومنهياته خائفًا من سخطه راجيًا من سعة رحمته حال كونه في نشأة الاعتبار والاختبار قبل انكشاف السرائر والأستار وحلول النشأة الأخرى ورضي بالتكاليف الإلهية ووطن نفسه لامتثال عموم الأوامر والنواهي وبمطلق الأحكام الجارية على ألسنة الرسل والكتب وَمع ذلك قد جاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ إلى الله مقبل نحوه طوعًا ورغبًة مخلص في طاعة الله وطاعة رسوله قيل لهم حينئذ من قبل الحق على وجه التبشير[2] إلى غير ذلك من الأمور الواضحة التي تجعل

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ١/ ٧ ، وانظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ، ٤ / ١٠٦ وانظر ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، اسم المؤلف: إسماعيل باشا بن محمد أمين الوفاة: ١٣٣٩ه ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢ ، ٣ /٣١٣.

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م (٢/ ٣٤٩).

الإنسان المسلم ما بداخله ليس بعيدًا عما يترجم في أرض الواقع أي لاخلاف بين الداخل والخارج حتى ينال رضوان الله تبارك وتعالى .

المطلب الثاني

العفة ـ الاحتشام ـ غض البصر

فالمؤمن الحق هو الذي يتحكم في جوارحه حتى يطوعها في طاعة الله ويبعدها كل البعد عن المعصية إذا أدرك أن هذه النعمة مما مَنَّ الله عليه من نعم ولابد أن يشكره سبحانه عن طريق الطاعة وإخضاعها لطاعة ربها وإبعادها عن المعصية بكل ما أوتي من قوة إيمان فيأمرها بما أمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فالخطاب هنا موجّه إلى المؤمنين، الذين هم بحكم إيمانهم بالله، ومراقبتهم له، أهل لأن يمتثلوا أمر الله ويستجيبوا له..وغضّ البصر، هو كسره، وعدم ملء العين من النظر إلى المحرمات من النساء، مخالسة، أو معالنة.. فإن النظر هو رسول الشيطان إلى تحريك الشهوة، والدعوة إلى الفاحشة..وقدّم الرجال على النساء، لأن النساء، عورة، والنظر إليهن يدعو إلى الفتنة أكثر من نظر النساء إلى الرجال[1].

وقد أشار ابن عَبَّاس قال ما رأيت شيئًا أَشْبَهَ باللَّمَم مِمَّا قال أبو هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ على بن آدَمَ حَظَّهُ من الزِّنَا أَدْرَكَ ذلك لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تتمنى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك كُلَّهُ أَو يكذبه[2] وَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّظَرَ سَبَبُ الزِّنَى فَإِنَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى جَمَالِ امْرَأَةٍ مَثَلًا قَدْ يَتَمَكَّنُ بِسَبَبِهِ حُبُّهَا مِنْ قَلْبِهِ تَمَكُّنًا يَكُونُ سَبَبَ

(١) التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة (٩/ ١٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري ،كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ ، باب زِنَا الْجَوَارِحِ دُونَ الْفَرْجِ ، ح (٥٨٨٩) ، ٥/ ٢٣٠٤.

هَلَاكِه، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[1].

ومن هنا يأتي الأمر من الله تبارك وتعالى بالعفاف في قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]، يعني: يحاول العفاف ويطلبه ويبحث عن أسبابه، يجاهد أن يكون عفيفًا، وأول أسباب العفاف أن يغضَّ بصره حين يرى، فلا يوجد له مُهيِّج ومثير، فإنْ وجد في نفسه فُتوة وقوة فعلية أن يُلجمها ويُضعفها بالوسائل الشرعية[2] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة - يعني: نفقات الحياة الزوجية - فليتزوج، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[3].

والصوم يعمل على انكسار هذه الشهوة ويُهدِّيء من شراسة الغريزة؛ ذلك لأنه يأكل فقط ما يقيم أَوْدَه، ولا يبقى في بدنه ما يثير الشهوة[4].

وهذا الأمر غير موجه للرجل فقط ولكنه موجه أيضًا للمرأة لأنها داخلة في نطاق التكليف الشرعي الذي يثيبها إن أطاعت وتعاقب إن عصت فقال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

اللواتي قعدن عن الحيض وعن الولد فليس فيهن رغبة لكل أحد ولا يتعلق بهن القلب في نكاح ويجوز النظر إليهن بخلاف الشباب منهن (فليس

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٥١٠).

(٢) تفسير الشعراوي - الخواطر محمد متولي الشعراوي ، الناشر: مطابع أخبار اليوم (١٦/ ١٠٢٦٤).

(٣) صحيح مسلم كِتَاب النِّكَاحِ ،بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤْنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ ، ح (١٤٠٠)، ٢/ ١٠١٨.

(٤) تفسير الشعراوي (١٦/ ١٠٢٦٤).

عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) جلبابهن وهو قول ابن مسعود يعني به الرداء أو المقنعة التي فوق الخمار تضعه عنها إذا سترها ما بعده من الثياب أو تضع خمارها وذلك في بيتها ومن وراء سترها من ثوب أو جدار وذلك قوله غير متبرجات بزينة يعني وهن غير مظهرات لما يتطلع إليه منهن ولا متعرضات بالتزيين للنظر إليهن وإن كن ليس بمحل ذلك منهن وإنما خص القواعد بذلك دون غيرهن لانصراف النفوس عنهن ولأن يستعففن بالتستر الكامل خير من فعل المباح لهن من وضع الثياب[1].

وليس هذا الأمر للنساء بقاصر على عوام النساء ولكن الأغرب من ذلك أن يكون الأمر أيضًا لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي عاشرن رسول الله وتأدبن بأدب النبوة منه صلى الله عليه وسلم فجاء الخطاب لهن في كتاب الله بقوله ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا • وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣]، فهذه مزايا إيجابية عظيمة لنساء النبي صلى الله عليه وسلّم في مقابل واجبات ألزمن بها، فيا أيها النسوة آل البيت لا شبيه لكنّ بين بقية النساء، فأنتن أفضل النساء، بشرط التقوى، فعليكن إظهار الحزم في القول، وترك اللين في الكلام، وتميز النطق بالجدّ والحزم والقوة، حتى لا يطمع في الخيانة من في قلبه مرض، أي نفاق كما قال قتادة، وقال عكرمة: أي فسق وغزل، وهو الصواب، كما قال ابن عطية، وقلن القول المعروف: وهو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس، البعيد عن ترخيم الصوت وعن الريبة.

(١) أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ٣ /٤١٩ .

وهذه الخصوصية مشروطة بشرط التقوى، لما منحهن الله من صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، وعظم المكانة، ونزول القرآن في حقهن[1].

المطلب الثالث

التحكم في الأهواء

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى • فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، فبعد أن ذكر الحق تبارك وتعالى صورة المخالف لأمر الله في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله. ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة فصار سعيه لها، ووقته مستغرقا في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ المقر والمسكن لمن هذه حاله، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعًا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ المشتملة على كل خير وسرور ونعيم ﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ لمن هذا وصفه[2]. فكل من حذر وقوفه بين يدي ربه يوم القيامة، وأدرك مقدار عظمته وقهره، وغلبة جبروته وسطوته، وجنب نفسه الوقوع في محارمه، فالجنة مثواه وقراره[3].

وهذا وصف آخر لمن يسير وراء هواه فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فصفته التي هي مثل في الخسّة والضعة كصفة الكلب في أخسّ أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله ، سواء حمل عليه أي شدّ عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه ، وذلك

(١) التفسير الوسيط ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ (٣/ ٢٠٦٩).
(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٠).
(٣) تفسير المراغي (٣٠/ ٣٤).

أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلاّ إذا هيج منه وحرّك ، وإلاّ لم يلهث ، والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعًا ،ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته[1].

وقال سبحانه تعالى لنبيه محمدصلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يريدون بفعلهم ذلك وجهه لا يريدون عرضًا من عرض الدنيا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه واتبع هواه وترك اتباع أمر الله ونهيه وآثر هوى نفسه على طاعة ربه وهم فيما ذكر عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم[2].

ومع أن الأنبياء معصومون من الزلل لكن جاء الخطاب في هذه الآية موجهًا لكل حاكم في قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦]، أي احْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ يَعْنِي لَا بُدَّ مِنْ حَاكِمٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ. ذَلِكَ الْحَاكِمَ ثُمَّ قَالَ: وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. الْآيَةَ، وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ مُتَابَعَةَ الْهَوَى تُوجِبُ الضَّلَالَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالضَّلَالُ عَنْ سَبِيلِ

(١) الكشاف٢ /١٦٨.

(٢) جامع البيان ١٥ / ٢٣٤، ٢٣٦.

اللهَّ يُوجِبُ سُوءَ الْعَذَابِ، فَيَنْتُجُ أَنَّ مُتَابَعَةَ الْهَوَى تُوجِبُ سُوءَ الْعَذَابِ[1].

لأن الأحكام إذا كانت مطابقةً للشريعة الحقيقية الإلهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات ، وإذا كانت الأحكام على وَفق الأهوية وتحصيل مقاصد الأنفس أفضى إلى تخريب العالم ووقوع الهَرَج والمَرَج في الخلق وذلك يُفْضي إلى هلاك ذلك الحاكم[2].

الاقتداء بالقدوة الحسنة :

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أي اصبر كما صبر من كان قبلك من الرسل ابتلى إبراهيم بالنار وذبح الولد فرضي وأسلم ، وأيوب بالبلاء فصبر ، وإسماعيل بالذبح فرضي ، ونوح بالتعذيب فصبر ، ويونس ببطن الحوت فدعا والتجأ ، ويوسف بالسجن والجب فلم يتغير ، ويعقوب بذهاب البصر وفقد الولد فصبر وشكا بثه إلى الله ولم يشك إلى غيره . قال الواسطي في قوله : (أولوالعزم) أولو الجد منهم ، ذلك بأن المقادير تجري على خلاف المشيئة والتدابير وأن الدنيا أسست على المحن وليس للمحن دواء إلا الصبر[3].

وكذا أرشدنا ــ سبحانه ــ إلى التأسي بخاتم النبيين في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، يقول: لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في تصرفه والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد، إذ كسرت رباعيته، وشج حاجبه،

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروتالطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٢٦/ ٣٨٦).

(٢) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ١٦ /٤٠٩.

(٣) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سيد عمران ٢ / ٢٤٥.

وقتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلاَّ فعلتم مثل ما فعل هو. لأن التأسي برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم. ويخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال، وهو في كل حال ذاكرًا الله متبعًا لأمره بخلاف الغافل عن ذكره[1]. ومن أمثلة ذلك كثيرة في كتاب الله وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

أفعال تناقض الأقوال:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، إنه حق؛ لكن تمنعه رئاسته، وجاهه أن يؤمن به؛ وهذا توبيخ هؤلاء الذين يأمرون بالبر، وينسون أنفسهم؛ لأن ذلك منافٍ للعقل؛ وقد ورد الوعيد الشديد على من كان هذا دأبه[2].

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "يُجَاءُ بالرَّجُل يوم الْقِيَامَة فَيُلْقَى في النَّار فَتَنْدَلقُ أَقْتَابُهُ في النَّار فَيَدُورُ كما يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّار عليه فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ ما شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوف وَتَنْهَانَا عن الْمُنْكَر قال كنت آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوف ولا آتِيه وَأَنْهَاكُمْ عن الْمُنْكَر وَآتِيه"[3].

والمعنى: كيف يليق بكم يا معشر اليهود، وأنتم تأمرون الناس بأمهات الفضائل، وألوان الخيرات، أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون به غيركم، وأنتم مع ذلك تقرأون توراتكم، وتدركون أي عقوبة أليمة لمن يأمر الناس بالخير وينسى نفسه، أفلا عقل لكم يحبسكم عن هذا السفه الذي ترديتم فيه،

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويسقدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م (٣/ ٤٦٤).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ (١/ ١٥٧ ، ١٥٨).

(٣) صحيح البخاري ،كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ ، بَاب صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ، ح (٣٠٩٤) ٣ / ١١٩١.

ويحذركم من سوء عاقبته؟[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

فبين الحق تبارك وتعالى في الْآيَة الْأُولَى أَنْكَاراً عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَفِي الْآيَة الثَّانِيَة بَيَانُ شِدَّة غَضَب اللهَّ وَمَقْته عَلَى مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا الْقَوْلَ الْمُغَايِرَ لِلْفِعْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَالْمُعَاتَبِينَ عَلَيْه وَالْمُسْتَوْجِبَ لِشِدَّةِ الْغَضَبِ إِلاَّ أَنَّ مَجِيءَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَهُمَا يُشْعِرُ بِمَوْضُوعِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهَّ.

وَقَد اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ عُلَمَاء التَّفْسِير عَلَى أَنَّ سَبَبَ النُّزُول مَعَ تَعَدُّده عِنْدَهُمْ أَنَّهُ حَوْلَ الْجِهَاد فِي سَبِيلِ اللهَّ مِنْ رَغْبَةٍ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ فِي الْجِهَادِ وَمَعْرِفَةِ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهَّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ[2].

الحسد والطمع:

فالحسد آفة حذر منه الحق تبارك وتعالى وعاب على أهل الكتاب فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شرّ خصلتين: يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ على أن أم منقطعة ، ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فَإِذًا لا يُؤْتُونَ أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون أحدًا مقدار نقير لفرط بخلهم: والنقير: النقرة في ظهر النواة[3].

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرةالطبعة: الأولى (١/ ١١١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ١٠٤).

(٣) الكشاف (١/ ٥٢١).

أي أنهم إن حسدوا الرَّسُول بِمَا أُوتي من الْفضل، فليحسدوا آل إِبْرَاهِيم؛ فَإِنَّهُم قد أُوتُوا الْكتاب وَالْحكمَة ﴿وآتيناهم ملكا عَظِيمًا﴾ اخْتلفُوا فِي الْملك الْعَظِيم: فَمن فسر الْفضل بتحليل الزَّوْجَات، فسر الْملك الْعَظِيم بِهِ أَيْضًا[1].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، فقد فُسِّرَ ذلك بالحسد، وهو تمنّي الرجل نفسَ ما أعطي أخوهُ من أهل ومال وأن ينتقلَ ذلك إليه، وفُسِّرَ بتمنِّي ما هو ممتنع شرعًا أو قدرًا، كتمنِّي النِّساء أن يكنَّ رجالاً أو يكون لهن مثلُ ما للرجال من الفضائل الدينية، كالجهاد. والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة، ونحو ذلك. وقيل: إنَّ الآيةَ تشملُ ذلك كُلَّه[2].

يَعْني بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَا تَشْتَهُوا مَا فَضَّلَ اللهُ بِه بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْض. وذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي نِسَاء تَمَنَّيْنَ مَنَازِلَ الرِّجَال ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَا لَهُمْ ، فَنَهَى اللهُ عِبَادَهُ عَنِ الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْله ، إِذْ كَانَتِ الْأَمَانِيُّ تُورِثُ أَهْلَهَا الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ بِمَا ذَكَرْنَا[3] فيجب على كل من آمن بالله تعالى وصدق بما جاء من عن نبيه أن يكون قانعًا بما وهبه الله من نعم ولا ينظر إلى ما في يد غيره لأن هذا الأمر يخرجه من مقام الرضا بالقضاء إلى منزلة القنوط وكفره بما في يديه من نعم سواء أكانت نعمة الصحة أو أي نعمة أعطاه الله إياها .

(١) تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م (١/ ٤٣٧).

(٢) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمدالناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م (١/ ٣٣٣).

(٣) جامع البيان :٦/ ٦٦٣.

إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة التي وضحها القرآن الكريم من خلال منهجه في تقويم السلوك الإنساني فنظر الإسلام إلى جميع نواحي الحياة فأرشد المسلم المتبع سبل الإرشاد إلى ماهو حسن وما هو قبيح حتى رفع الحبيب المصطفى قدر أصحاب الخلق الرفيع بقوله "عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إِلَي وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يو م الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَي وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يو م الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ قد عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فما الْمُتَفَيْهِقُونَ قال الْمُتَكَبِّرُونَ[1].

" وكان صلى الله عليه وسلم هو القدوة إلى ذلك وهذا ما وضحه القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

خاتمة البحث

فإذا كان النبع الأول الذي استقى منه الرعيل الأول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نبع القرآن، فما كان حديث رسول الله وهديه إلا أثرًا من آثار ذلك النبع فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت: كان خلقه القرآن.

وكان القرآن هو النبع الذين يستقون منه، ويتكيفون به ويتخرجون عليه، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا مؤلفات، ولا دراسات كلا فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه، أو على امتداده. وكانت

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي ، السلمي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين بَاب ما جاء في مَعَالِي الْأَخْلَاقِ حديث(٢٠١٨) ٤ / ٣٧٠.

هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها، وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم، وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك وحضارات أخرى قاصيةودانية: حضارة الهند وحضارة الصين إلخ. وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة، فلم يكن إذن عن فقر في الحضارات العالمية والثقافات العالمية يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده.. في فترة تكونه. وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود يدل على هذا القصد غضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة، وقوله: "إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"[1].

وهذا الغضب يدل على أن للمسلم إرثاً تركه النبي صلى الله عليه وسلم فلابد وأن يستقي منه ألا وهو كتاب الله وسنة نبيه عملاً بحديث " جَابِرٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وعترتي أهل بيتي"[2] ومن هنا يجب على المؤمن أن ينطلق من هذه النقطة التي حددها له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤١٢هـ–١٩٩١م. (ص: ٥٩).

(٢) مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروتالطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ رقم الحديث ٦١٥٢ قال الألباني (صَحِيح بِالَّذِي بعده) (٣/ ١٧٣٥).

المراجـــــع

١- الإصابة في تمييز الصحابة ،الشافعي : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

٢- الإنسان والغريزة والأخلاق ، الحوار المتمدن- الباتع : محمود، العدد: ١٩٦٢ – ٣٠ / ٦ / ٢٠٠٧ ،مقال بموقع http: / / www.ahewar.org / debat / show.art.asp المحور: الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع .

٣- الأساس في التفسير ، حوى : سعيد ، الناشر: دار السلام – القاهرة ، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

٤- البداية والنهاية ، بن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء ، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت .

٥- التحرير والتنوير ، ابن عاشور: الإمام الشيخ محمد الطاهر ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع .

٦- التفسير القرآني للقرآن ، الخطيب: عبد الكريم يونس ، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة .

٧- التفسير ـ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،الزحيلى : د وهبة بن مصطفى ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

٩- التفسير الوسيط للزحيلي ، الزحيلي: د وهبة بن مصطفى ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ .

١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، طنطاوي : محمد سيد ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.
١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مجموعة من العلماء ، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) .
١٢- الجامع الصحيح المختصر ، البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .
١٣- الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، المصرفي : الأستاذ الدكتور سعد ، الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
١٤- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، النخجواني : نعمة الله بن محمود ، ويعرف بالشيخ علوان ، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
١٥- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب التميمي : حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر الحنبلي ،.
١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ٢ / ٣٠٦.
١٧- اللباب في علوم الكتاب ،الحنبلي: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩

هـ -١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ١٦ / ٤٠٩.

١٨- المختصر في تفسير القرآن الكريم تصنيف: جماعة من علماء التفسير إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية ، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦ هـ .

١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد ، ،دار النشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي .

٢٠- الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ، حبنكة: عبد الرحمن حسن الميداني، بيروت : دار . الريان . الطبعة الثانية سنة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .

٢١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،النيسابوري : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، الشافعي ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢٢- إحياء علوم الدين ،الغزالي: محمد بن محمد أبو حامد ، دار النشر : دار االمعرفة – بيروت.

٢٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ،أبو عبد الله : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢٤- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، أمين : إسماعيل باشا بن محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ – ١٩٩٢ .

٢٥- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ، عبد الله: بن عبد الرحمن الجربوع ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٢٦- أحكام القرآن ، ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٢٧- أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول ، السيوطي : جلال الدين أبي عبد الرحمن ، ،الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية ، سنة النشر: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م.

٢٨- أسباب نزول القرآن ، النيسابوري : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

٣٠- بستان الواعظين ورياض السامعين ، البغدادي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أيمن البحيري .

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد : مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين.

٣٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،السعدي: عبد الرحمن بن ناصر ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .

٣٣- تفسير التستري ، التستري : أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع ، جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٣٤- تفسير القرآن العظيم ،الدمشقى : إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١.

٣٥- تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، السلمى : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سيد عمران .

٣٦- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ،السمر قندي : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث ، دار النشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د. محمود مطرجي .

٣٧- تفسير الشعراوي – الخواطر ، الشعراوي : محمد متولي الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٣٨- تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ،الطيار : د مساعد بن سليمان بن ناصر الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ.

٣٩- تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ، العثيمين: محمد بن صالح بن محمد، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ .

٤٠- تفسير المراغي، المراغي : أحمد بن مصطفى ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

٤١- تفسير القرآن ، أبو المظفر : منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٢- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، بن مصطفى : أبو السعود العمادي محمد بن محمد ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤٣- جامع البيان عن تأويل آيالقرآن ،الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥

٤٤- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٥- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ،البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله ، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ ١٩٩٩م.

٤٦- صحيح مسلم ،النيسابوري : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

٤٧- علم الأخلاق الإسلامية ، على : مقداد يالجن محمد ، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن ،الحنبلي : مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي ، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب ، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّة) ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٤٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ، دار النشر : دار الفكر – بيروت .

٥٠- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، بأبي طالب : محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور المكي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د.عاصم إبراهيم الكيالي .

٥١- كتاب التعريفات ، الجرجاني : علي بن محمد بن الشريف الحسيني الحنفي ،: تحقيق : د . محمد عبد الرحمن المرعشلي . بيروت : دار النفائس . الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ ه ٢٠٠٣ م .

٥٢- لباب التأويل في معاني التنزيل ،الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن ، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (١ / ٢٠٦).

٥٣- لسان العرب ، بن منظور : محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى .

٥٤- لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، القشيري : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ، المحقق: إبراهيم البسيوني ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، الطبعة: الثالثة

٥٥- مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي ، شمس الدين : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٥٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد : بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

٥٧- مشكاة المصابيح ، محمد : بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي ، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

٥٨- من خلق القرآن ، دراز : للدكتور الشيخ محمد عبدالله رحمه الله تعالى، تحقيق خادم العلم عبدالله ابراهيم الأنصارى ، من مطبوعات إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.